Al-Kitab Journal for Human Sciences Vol.7, No.11-2024
http:// doi:www.doi.org/10.32441/kjhs,7.11.8

Al-Kitab Journal for Human Sciences (KJHS)
Scientific Biannual Refereed Journal
P-ISSN2617-460, E-ISSN (3005-8643)
https://isnra.net/index.php/KJHS/about/editorialTeam

Administrative organizations of Al-Hajjaj bin Yusuf Al-Thaqafi in Iraq (75 - 95 AH / 694 - 713 AD)

D. Tuama Malah Noomi Alobaid
Lecturer
College of Literature / Kirkuk university

ARTICLE INFORMATION

Received: 27 Jan.,2024

Accepted: 24 Mar, 2024

Available online: 30 June, 2024

***PP* :171-194**

© THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE

https://creativecommons.org/license/by/4.0

Corresponding author:

Email: tamamalah@yahoo.com

Abstract

Al-Hajjaj bin Yusuf al-Thaqafi occupied an important position in the history of the Umayyad state, and he played a prominent role in establishing its foundations, after he demonstrated superior military and administrative capabilities that placed him among the ranks of the governors immortalized in history. A great debate and controversy arose among historians and researchers regarding the overall policy that he followed throughout the period. His rule of Iraq lasted for twenty years (75-95 AH / 695-714 AD), which was full of events, and required him to stand firmly and boldly to confront them. Military actions were at the forefront of his immortal deeds, and alongside these military actions there were great administrative actions no less important than The military, which is the subject of this study, in which we will address the most important administrative organizations of Al-Hajjaj throughout his rule of Iraq, such as appointing workers to the eastern regions that were administratively subordinate to the state of Iraq, and what were the criteria that Al-Hajjaj followed in selecting his workers in these regions, the Arabization of diwans in Iraq, and its impact. Civilization of the Arabic language and the Arab-Islamic civilization, which was written in the Persian language, and the appointment of judges over those regions. Among the most prominent of these works, the impact of which is still prominent to the present time, is the construction of the city of Wasit.

Keywords: organizations, administration, office.

التنظيمات الإدارية للحجاج بن يوسف الثقفي في العراق

(٧٥ – ٩٥هـ/ ٦٩٤ -٧١٣م)

الدكتور طعمه ملح نومي
مدرس
كلية الآداب – جامعة كركوك

المستخلص

شغل الحجاج بن يوسف الثقفي مكانة مهمة في تاريخ الدولة الأموية، وكان له دور بارز في تثبيت أركانها، بعد ما أبدا قدرات عسكرية وإدارية فائقة جعلته في مصاف الولاة الذين خلدهم التاريخ، وقد أثير نقاش وجدل كبير لدى المؤرخين والباحثين على مجمل سياسته التي اتبعها طيلة فترة توليه حكم العراق التي استمرت لعشرين عاما (٧٥-٩٥ه/ ٦٩٥-٧١٤م) والتي كانت حافلة بالإحداث، تطلبت منه الوقوف بحزم وجلدة لمواجهتها، وكانت الأعمال العسكرية في صدارة أعماله الخالدة، وإلى جانب هذه الأعمال العسكرية كان هناك أعمال إدارية عظيمة لا تقل أهمية عن العسكرية، وهي موضوع هذه الدراسة، والتي سوف نتطرق إلى أهم التنظيمات الإدارية للحجاج طيلة حكمه للعراق، كتعيين العمال على الأقاليم الشرقية التي كانت تابعة إداريا لولاية العراق، وما هي المعايير التي اتبعها الحجاج في اختيار عماله على هذه الأقاليم، وتعريب الدواوين في العراق، وأثرها الحضاري على اللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية، والتي كانت تكتب باللغة الفارسية، وتعيين القضاة على تلك الأقاليم، ومن أبرز هذه الأعمال الذي ما زال أثرها بارزا إلى الوقت الحاضر، بناء مدينة واسط.

الكلمات المفتاحية: تنظيمات ، إدارة، ديوان .

مجلة الكتاب للعلوم الإنسانية
KJHS

مجلة علمية، نصف سنوية
مفتوحة الوصول، محكمة

تاريخ تسلم البحث: ٢٠٢٤/١/٢٧
تاريخ قبول النشر : ٢٠٢٤/٣/٢٤
تاريخ النشر : ٢٠٢٤/٠٦/٣٠

المجلد: (٧)
العدد: (١١) لسنة ٢٠٢٤م
جامعة الكتاب – كركوك – العراق

تحتفظ (TANRA) بحقوق الطبع والنشر للمقالات المنشورة، والتي يتم إصدارها بموجب ترخيص (Creative Commons Attribution) ل (CC-BY-4.0) الذي يتيح الاستخدام، والتوزيع والاستنساخ غير المقيد وتوزيع للمقالة في أي وسيط نقل، بشرط اقتباس العمل الأصلي بشكل صحيح

"التنظيمات الإدارية للحجاج بن يوسف الثقفي في العراق
(٧٥ – ٩٥هـ/ ٦٩٤ -٧١٣م)"

مجلة الكتاب للعلوم الإنسانية

https://doi.org/
P-ISSN:1609-591X
E-ISSN: (3005-8643) -X
kjhs@uoalkitab.edu.iq

المقدمة

لقد اعتمد الخلفاء الأمويون في إدارة دولتهم على ولاة أكفاء تميزوا بعقلية إدارية رائعة مكنتهم من ضبط الدولة والارتقاء بمؤسساتها المتعددة السياسية والعسكرية والثقافية والخدمية، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي من بين هؤلاء الذي حكم العراق عشرين عاما (٧٥-٩٥ه/ ٦٩٤-٧١٤م) وقد تميز الحجاج بعقلية إدارية نيرة وإرادة صلبة في مواجهة الأزمات، التي استطاع الخروج منها منتصرا، فإلى جانب أعماله العسكرية العظيمة التي قام بها في العراق خلال مدة حكمه، كانت هناك أعمال لا تقل أهمية عنها في الجانب الإداري للحجاج في العراق، والتي هي موضوع هذه الدراسة بعنوان: (الجوانب الحضارية للتنظيمات الإدارية للحجاج بن يوسف الثقفي(٧٥ - ٩٥ه/ ٦٩٤-٧١٤م)).

اشتملت الدراسة على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع، وكل مبحث اشتمل على عدة مطالب كما مبينا أدناه:

المبحث الأول: (ولادة الحجاج بن يوسف الثقفي ونشأته، ومكانته الأسرية) واشتمل المطلب الأول على ولادة الحجاج ونشأته، وتناول المطلب الثاني بروز شخصية الحجاج واتصاله بالخلفاء والأمراء، وختم بالمطلب الثالث، الحاج واليا على العراق.

أما المبحث الثاني: (التنظيمات الإدارية للحجاج بن يوسف في العراق) تناول المطلب الأول أوضاع العراق الإدارية قبل الحجاج بن يوسف، وعالج المطلب الثاني الأعمال الإدارية للحجاج في العراق، منها تعيين العمال على الأقاليم، وتعيين صاحب الشرطة، والقضاء في عهد الحجاج، أما المطلب الثالث فناقش الدواوين في العراق في عهد الحجاج، من حيث تعريب الدواوين وأنواعها، أما المطلب الأخير فتناول بناء مدينة واسط.

اعتمدت الدراسة على مصادر و مراجع عديدة أفادتها وأغنتها كثيرا، من تلك المصادر: (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، وكتاب (تاريخ الرسل والملوك) للطبري، وكتاب (فتوح البلدان) للبلاذري، وكتاب (الوزراء والكتاب) للجهشياري، ومن المراجع كتاب (العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي) لعبد الواحد ذنون طه، وكتاب (قراءة في سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي) لعزة علي آق بيق، وكتاب (الدولة العربية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان دراسة في إصلاحاتها المالية وتنظيماتها الإدارية) لعبد الجبار محسن السامرائي.

المبحث الأول
ولادته ونشأته ومكانته الاسرية

المطلب الأول: ولادته ونشأته: الحجاج بْن يُوسُف بْن الحكم بْن أَبِي عقيل بْن مَسْعُود بْن عامر بْن مُعَتِّب بْن مالك بْن كعب بْن عَمْرو بْن سعد بْن عوف بْن ثقيف (١)، ولد بمدينة الطائف سنة ٤١هـ/ ٦٦٧م، (٢) ونشأ فيها، ثم اشتغل بالتعليم، كان يعلم الصبية القرآن الكريم، ويروى أنَّ اسمه كان كُليبا

(1) البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦، ج١٣، ص٣٥٢؛ ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٤٣م) البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ١٩٩٧، ج١٢، ص٥٠٧.

(2) ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط ٢، دار القلم، دمشق، ص٢٠٤ –٢٠٥؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج١٣، ص٣٥٢.

وسميَّ فيما بعد بالحجاج(١)، كما ذكر البعض أنه سمي بالحجاج، وأن كليبا لا يعدو أن يكون لقبا لُقِبَّ به في الصغر، للتفائل على عادة العرب(٢)، وتلقب الحجاج بالقاب عديدة مثل: أبو محمد، وأخو ثقيف وعبد ثقيف وجبار ثقيف وابن أبي رغال والسفاك (٣).

كان والد الحجاج من سادات ثقيف وأشرافهم (٤)، وكان الحجاج عالما بتفسير القرآن الكريم ورواية الحديث حافظا لكثير من أشعار العرب وأيامهم كثير الاستشهاد بذلك في المقامات المختلفة، وقد روى الحديث عن سمرة ابن جندب وأنس بن مالك، وعبد الملك بن مروان، وأبي بردة، وروى عنه سعيد بن أبي عروبة، ومالك بن دينار، وحميد الطويل، وثابت البناني، وموسى بن أنس بن مالك، وأيوب السختياني، والربيع بن خالد الضبي، وعوف الأعرابي، والأعمش، وقتيبة بن مسلم وغيرهم(٥)، الإ أن علماء المصطلح لا يوثقونه لا لضعف في مكانته العلمية وإنما أخذوا عليه أمورا أرجف بها المعادون له حتى قال عنه بعض علماء الحديث (فلولا ما ارتكب من العظائم والفتك لمشي حاله)(٦).

المطلب الثاني: بروز شخصيته واتصاله بالخلفاء والامراء:

كان والد الحجاج يعد من أشراف المعلمين، ربطته بأسرة مروان بن الحكم رابطة قوية ، مما دفع بيوسف بن الحكم وابنه الحجاج للوقوف إلى جانب الأمويين ضد خصومهم السياسيين منذ عهد يزيد بن معاوية اذ يروى باشتراكهما في موقعة الحرة(7)(٦٣هـ/٦٨٢م)(8)، كما شارك الحجاج بن

---

(١) الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ج١، ص٣٩٥، ٣٩٧.

(٢) المبرد، ابو العباس محمد بن يزيد (ت: ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) الكامل في اللغة والادب، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧، ج٢، ص٧٩.

(٣) اق بيق، عزة علي، قراءة في سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠ – ٩٥هـ)، دار العرب، دمشق، ٢٠١٦، ص ٣٧.

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، تحقيق: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص٤٠.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٥٠٧؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد(ت: ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٩٠٨. ج٢،ص ٢١٢.

(٦) الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد(ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣، ج١، ص٤٦٦؛ زيادة، محمود، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٥، ص٣٥.

(٧) موقعة الحرة: هي المعركة التي وقعت بالمدينة المنورة أيام يزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة المري، وكان سببها أن أهل المدينة المنورة خلعوا يزيد بن معاوية، وأخرجوا مروان ابن الحكم وبنى أمية، وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل، فقاتلهم مسلم حتى هزمهم وأباح المدينة ثلاثة أيام يقتلون الناس ويأخذون الأموال وكان ذلك في سنة ٦٣، / ٦٨٢م. ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم(ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلا تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧، ج٣، ص٢١١.

(٨) الاصفهاني، ابي فرج علي بن الحسين(ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) الاغاني، تحقيق سمير جابر، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٥هـ، ج١٧، ص١٤٩؛ اق بيق، قراءة في سيرة الحجاج، ص٥٠.

يوسف ووالده مع مروان بن الحكم في الحملة ضد والي مصر عبد الرحمن بن جحدم الفهري الذي كان يدعو إلى ابن الزبير سنة(٦٥هـ / ٦٨٤م)(1)، كما شاركا في ا

لحملة التي أرسلها مروان بن الحكم إلى المدينة المنورة بقيادة حبيش بن دلجة القيني(2) لمحاربة ابن الزبير، وانهزم هذا الجيش أمام جيش ابن الزبير في موقعة الربذة(3) (٦٥هـ/ ٦٨٤م)، وقتل قائد الحملة في هذه المعركة، ونجا الحجاج ووالده في ذلك اليوم(4).

كما تولى الحجاج بن يوسف شرطة ابان بن مروان(٥) في بعض أيامه عندما كان ابان على فلسطين لأخيه عبد الملك(٦)، ثم اتصل الحجاج بن يوسف بروح بن زنباع(٧) فكان في جملة شرطته وكان روح

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٤٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٧٠٤.

(٢) حبيش بن دلجة : هو أحد وجوه أهل الشام من أهل الأردن وشهد صفين مع معاوية وكان على قضاعة الأردن يومئذ وولاه يزيد بن معاوية على أهل الأردن يوم وجههم إلى الحرة من زيزاء قرية من قرى البلقاء من كورة دمشق، قاتل حبيش بن دلجة بالربذة أيام ابن الزبير، وهو أول أمير أكل على منبر رسولً ❐. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي(٥٧١ هـ/١١٧٥م) تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، دراسة تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ج١٢، ص٨٨.

(٣)الربذة: قرية في نواحي المدينة المنورة على طريق الحجاز، يوجد فيها قبر الصحابي ابي ذر الغفاري. الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت (ت: ٦٢٦هـ /١٢٢٨م) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج٣، ص٢٤.

(٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٧٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٧١٥.

(٥) أبان بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أخو عبد الملك كان أميرا على البلقاء، ولاة عبد الملك بن مروان على فلسطين، امه عائشة بنت عثمان بن عفان. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦، ص١٥٨؛ البلاذري، انساب الاشراف ، ج٦، ص٣٦٠.

(٦) البلاذري، انساب الاشراف، ج١٣، ص ٣٥٣.

(٧) روح بن زنباع الجذامي: يكنى أبا زرعة، ويقال أبو زنباع الدمشقي داره بدمشق، تابعي جليل، روى عن أبيه، وعن وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، ومعاوية، وكعب الأحبار وغيرهم، وعنه جماعة منهم عبادة بن نسي، يقول عنه عبد الملك؛ جمع روح طاعة اهل الشام ودهاء اهل العراق وفقه اهل الحجاز، وكان مع أبيه مروان يوم مرج راهط، وقد أمره يزيد بن معاوية على جند فلسطين، ومن مآثره التي تفرد بها أنه كان كلما خرج من الحمام يعتق نسمة، مات سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م بالأردن. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٦٧.

بمنزلة وزير عبد الملك بن مروان ويستشيره في كل الأمور ولا يكاد يفارقه، ولما أراد عبد الملك التوجه لقتال زفر بن الحارث بقرقيسياء(1) وجد صعوبة في تعبئة الجيش وجمع الجنود لأن الجيش كان مختل النظام ولا يرحل برحيل قائده ولا ينزل بنزوله، فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا ينزلون لنزوله ولا يرحلون لرحيله، فقال روح: يا أمير المؤمنين إن في شرطتي رجل يقال له الحجاج بن يوسف لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحلهم برحيله وأنزلهم بنزوله، فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش، فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل(2).

ولما طال القتال بين عبد الملك بن مروان وزفر بن الحارث(3) أرسل عبد الملك رجاء بن حيوة الكندي(4) وجماعة ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي إلى زفر بكتاب يدعوه إلى الصلح، فأتيا زفر بالكتاب وكلماه فأبى الصلح، وحضرت الصلاة فصلى رجاء مع زفر، وصلى الحجاج وحده، وقال: لا أصلي مع مشاق منافق خارج عن طاعة امير المؤمنين، فسمع عبد الملك بذلك فزاد إعجابا به، ورفع قدره(5)، وولاه بلدة تبالة(6) ، وهي أوّل عمل وليه الحجاج (7).وبعد هذا أصبح الحجاج ملازما لخدمه الخليفة عبد الملك

(١) بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ وعندها مصبّ الخابور في الفرات، فهي في مثلث بين الخابور والفرات. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ٣٢٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٥٠٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٣٣٠.

(٣) زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاوية ، من أهل الشام سمع عن عائشة ومعاوية، روى عنه ثابت بن الحجاج شهد وقعة صفين، وشهد وقعة مرج راهط ، صالح عبد الملك بن مروان، قيل إنه مات فِي أيام عبد الملك بن مروان. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق روحية النحاس ، واخرون، دار الفكر للطباعة والتوزيع، دمشق، ١٩٨٤،ج٩، ص٤٣.

(٤) رجاء بن حيوة الكندي الشّامي الفلسطيني، ويقال: الأردنيّ: التّابعي، روى عن الصحابة، وعن التّابعين، وقال عنه بعض مَنْ رآه: "ما رأيت شاميّاً أفقه من رجاء بن حيوة"، كان ثقة عالماً فاضلاً كثير العلم، أجمع اهل العلم على جلالته وعظم فضله في نفسه وعلمه، وتوفي سنة ١١٢هـ/ ٧٣٠م. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري(٢٣٠ هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، **١٩٩٠، ج٧/ ٣١٦**؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص ٣٣٢.

(٥) البلاذري، انساب الاشراف، ج١٣٧، ص٤٨؛ بن نباته، جمال الدين(ت: ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، د. م، د. ع ، ص١٧٣.

(٦) تبالة بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن، وكانت أوّل عمل وليه الحجاج . الحموي، معجم البلدان، ج٢/ص٩.

(٧) الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، عيون الاخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٣٣٧؛ الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٩.

وكان الحجاج على مقدمة الجيش الذي سار لمقاتلة مصعب بن الزبير(1) في العراق سنة (٧٢هـ/٦٩١م)(2)، وكانت هذه الحملة التي شارك بها الحجاج في مقدمة الأسباب التي جعلت عبد الملك يرسله على رأس حملة جديدة ضد عبد الله بن الزبير(3) سنة (٧٢هـ / ٦٩١م) (4) الذي كان من طلاب الخلافة في الحجاز(5)، إذ كانت البداية الحقيقية لتألق نجم الحجاج على المسرح السياسي لدولة بني مروان(6)، ثم تولى الحجاج ولاية مكة المشرفة، والمدينة المنورة، والطائف مدة نحو ثلاث سنوات، ثم نقل بعدها إلى العراق حيث حكمها زهاء عشرين سنة(7)، توفي بمدينة واسط في شهر رمضان سنة(٩٥هـ/ ٧١٤م)(8).

المطلب الثالث: الحجاج واليا على العراق:

احتل العراق مكانة خطيرة في تاريخ الدولة الاموية، لأنه مركز الثقل في الدولة، لموقعه المهم، فهو ظهير لحماية الدولة في الشام من أي خطر يهددها من المشرق، فضلا عن وفرة خراجه لكثرة الكثافة السكانية فيه التي تجمعت بعد الفتح في الكوفة والبصرة ومن ثم كثرة خيراته، ومن جهة أخرى استقرت الأحوال للخليفة عبد الملك بن مروان في الحجاز بفضل ما أوتيه عبد الملك من رباط جاش وحسن سياسة وعظيم توفيق في اختيار ولاته وفي مقدمتهم الحجاج بن يوسف الذي عمل جاهدا على توطيد نفوذ الدولة الاموية في الحجاز

---

(١) مصعب بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو عيسى، وأبو عبد الله، أمه الرباب بنت أنيف الكلبية، أمير العراقين، كان فارسا، شجاعا، جميلا، وسيما، حارب المختار وقتله، وكان يسمى من سخائه: آنية النحل، ولي العراق لاخية عبد الله، قتله عبد الملك بن مروان سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٣٩؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج٩، ص٤٤٧.

(٢) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق اسعد داغر، دار الهجر، قم، ١٤٠٩هـ، ج٣، ص١٠٥.

(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام، يكنى أبا بكر، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ♦، كانت ولادته في السنة الاولى للهجرة النبوية ، شهد معركة الجمل، رفض مبايعة يزيد للخلافة، وبعد موت يزيد دعا عبد الله بن الزبير لنفسه وبايعه الناس على الخلافة في مكة وسمي امير المؤمنين، جرت عدة معارك بين الطرفين، ولما بويع عبد الملك بن مروان الخلافة ارسل عدة حملات الى المدينة ومكة، كان اخرها بقيادة الحجاج بن يوسف سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م التي قتل فيها عبدالله بن الزبير وذلك جماد الاول سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٤٧٣.

(٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٠٠؛ ابن نباتة، سرح العيون، ص١٧٣.

(٥) الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، القاهرة، دار المعارف، بلا ت، ج٦، ص١٧٤؛ القرة غولي، وعد سنكاو احمد، سفيان بن الابرد الكلبي (ت ٨٥هـ) ودوره في احداث عصره، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد ١٨، العدد ١، ٢٠٢٣، ص١٤٩.

(٦) اق بيق، قراءة في سيرة الحجاج، ص٥٤.

(٧) الدينوري، المعارف، ج١، ص٣٩٧؛ طه، عبد الواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٠.

(٨) الدينوري، المعارف، ج١، ص٣٩٧؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج١٣، ص٣٥٣.

بالقضاء على ثورة ابن الزبير ومن والاها، إلا أن الأمر لم ينته عند ذلك ، بل ظهرت على ساحة الأحداث السياسية الأموية مشكلات بلاد العراق ومهد الثورات وموطن الخارجين على القانون والخلافة (١).

لم يحسم الخليفة عبد الملك بن مروان شان العراق، وذلك لوجود أخيه بشر واليا عليه (٧٤هـ/ ٦٩٣م)، إلا أن وفاته في رجب سنة (٧٤هـ/ ٦٩٣م) جعلته يعيد التفكير في وضع الأمور في نصابها بعد أن عجز نواب بشر في الكوفة والبصرة من ضبط الأمور فيها، فلم يتردد في إسناد ولاية العراق إلى الحجاج وإليه على الحجاز، فلقد رأى أنه لا يسد عنه خلل أهل العراق ولا يرد غارات الخوارج غيره (٢).

وقد اختلف المؤرخون في الطريقة التي اتبعها عبد الملك في تولي الحجاج، فقال بعضهم إنه كتب إليه بعهد وهو في الحجاز، وإنه خرج من المدينة المنورة الى العراق على رأس اثنا عشر راكبا(٣)، ويرى آخرون أن الحجاج ولي العراق في آخر وفادة له على الخليفة عبد الملك بن مروان في دمشق إذ تهيأت الفرصة لذلك بوفاة بشر بن مروان(٤).

المبحث الثاني
التنظيمات الإدارية للحجاج بن يوسف في العراق

المطلب الأول: أوضاع العراق قبل الحجاج بن يوسف في العراق:

كانت الدولة العربية الإسلامية مقسمة في العهد الراشدي إلى عدة ولايات من أبرزها ولاية الشام وكان معاوية بن أبي سفيان عاملا عليها، أما العراق فقد قسم في عصر الخلافة الراشدة وتحديدا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب إلى ولايتين ولاية البصرة وولاية الكوفة وكان كل مصر مستقل عن الآخر في النواحي الإدارية والمالية والقضائية، يذكر ابن الاثير ضمن أحداث سنة ١٥هـ/٦٣٦م أنه كان عمال الخليفة عمر بن

(١) زيادة، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص٧٧؛ اق بيق، قراءة في سيرة الحجاج، ص٨٥.

(٢) طه، العراق في عهد الحجاج، ٦٣.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٦، ص٢٠١؛ ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤، ج٣، ص٧٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٤٣؛ ابن خلدون تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٥٣.

(٤) البلاذري، انساب الاشراف، ج٧، ص٢٧٣؛ ابن نباتة، سرح العيون، ص١٧٦.

الخطاب على الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص(١)، و المغيرة بن شعبة(٢) على البصرة (٣)، وما دفع عمر بن الخطاب إلى تقسيم العراق إلى ولايتين، تمصير المصريين الكبيرين الكوفة والبصرة، وأعمال الفتوح التي قام بها سكان هذين المصرين، وكان من جراء ذلك انفراد كل مصر بفيئة الخاص(٤)، ذكر أن أهل البصرة لما كثر عددهم وعجز خراجهم طلبوا من الخليفة عمر بن الخطاب أن يضيف إليهم بعض الكور مما كان يتبع الكوفة إلا أن أهل الكوفة رفضوا طلبهم إذ اعتبروا أهل البصرة مددا لهم، ولهم يعود الفضل في فتح العراق(٥).

أما في العصر الأموي فقد سار الخلفاء الأمويون في أول الأمر على النظام الإداري الذي كان سائدا أيام الخلفاء الراشدين بتعيين أميرين على العراق إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلا ففي سنة (٥٠ هـ/٦٧٠م) جمع الخليفة معاوية بن أبي سفيان العراق لزياد بن أبيه، وكان أول أمير جمع له العراقان، وسار على هذا النظام الجديد أكثر خلفاء الدولة الأموية (٦).

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ازداد اضطراب الأحوال في العراق بعد وفاة بشر بن مروان وتفاقم الأمر وعظم ذلك على عبد الملك واستولى عليه الجزع حتى خرج الى رجال دولته يناشدهم قائلا: ويلكم من للعراق ولما لم يجد مجيبا لندائه إلا الحجاج ولاه وكتب إليه يوصيه: (أما بعد، يا حجاج فقد وليتك العراقيين صدقة، فإذا قدمت الكوفة فطأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة، وإياك وهوينا الحجاز، فإن القائل هناك يقول ألفاً ولا يقطع بهن حرفاً، وقد رميت العرض الأقصى، فارمه بنفسك، وأرد ما أردته بك، والسلام.)(٧)، عمل الحجاج بكل ما أوتي من قوة وسخر كل جهوده في سبيل تثبيت سلطان الأمويين ولم يترك وسيلة إلا سلكها،

---

(١) سعد بن ابي وقاص، وابي وقاص واسمه مالك بن أهيب، ويكنى أبا إسحاق، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية ، وقد شهد بدرا وهو الذي فتح العراق وكان قائد الجيوش في القادسية ونزل الكوفة وخطها خططا لقبائل العرب وابتنى بها دارا، ووليها لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، ثم عزل عنها، ورجع سعد إلى المدينة فمات فيها، وذلك سنة ٥٥هـ/ ٦٧٤م وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والى المدينة لمعاوية. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٣٥.

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر، ويكنى أبا عبد الله، وكان يقال له مغيرة الرأي، وكان داهية لا يشتجر في صدره أمران إلا وجد في أحدهما مخرجا، اسلم قبل الحديبية، له صحبه، شهدة مع رسول الله ❐ صلح الحديبية مع الرسول ❐ حج مع رسول الله حجة الوداع، وشهد اليمامة واليرموك والقادسية، وكان رسول سعد ♦ الى رستم، ولي البصرة لعمر بن الخطاب ♦ ، ولى الكوفة لعمر بن الخطاب ♦، ولمعاوية بن أبي سفيان، فمات بها وهو وال عليها في عهد معاوية. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٧٣.

(٣) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٣٦؛ محمود، شيماء عبد الباقي، صناعة السفن الحربية في مدن البحر المتوسط وكيفية تطويرها عند المسلمين خلال القرن الاول الهجري/ السابع الميلادي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد ٧، العدد ٣، سنة ٢٠١٢, ص٨.

(٤) الراوي، ثابت اسماعيل، العراق في العصر الاموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية، مكتبة النهضة، بغداد، د.س، ص٤٠.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤١٢.

(٦) اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت،١٩٦٥ ج٢، ص٢٢٩؛ الراوي، العراق في العصر الاموي، ص٤٤.

(٧) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٧٣.

للوصول إلى الغاية التي كان يهدف الى تحقيقها ، وقد اختار عبد الملك أكفأ رجال دولته لمواجهة الخطر الذي يهدد الدولة في العراق(١).

المطلب الثاني: الأعمال الإدارية للحجاج بن يوسف الثقفي

١- تعيين العمال على الأقاليم:

كان الحجاج في إدارته للعراق يقيم في الكوفة بعض السنة وفي البصرة بعضها الآخر وهو الذي يعين عمالا على الأقاليم والمدن التابعة لولايته في الغالب، وذلك لسعة المناطق التي تولاها، اضطر الحجاج إلى تعيين ولاة ينوبون عنه في حكم الأقاليم المتعددة الملحقة بالولاية وكانت الثقة والاعتقاد بكفاءة الرجل هي الأساس في اختيارهم لشغل هذه المناصب، أما القرابة والعصبية فلم يكن لهما أثر في هذا التعيين إذ إنه كان لا يعين على قرابة ولا دالة ولا وسيلة(٢)، بل يعتمد في اختياره لهؤلاء العمال على ثقته بهم وما يتوسم فيهم من مقدرة وكفاءة وكان يراقب عماله وولاته ويتابع أعمالهم، فمثلا عزل الحكم بن أيوب الثقفي(٣) عامله على البصرة ، بسبب عزله بعض العمال لأسباب لا تستوجب العزل(٤) ، وكان يعاقب عماله المسيئين مهما كانت درجة قرابته منهم فقد عاقب مالك بن أسماء(٥) على الرغم من أنه أخو زوجته(٦)، وهنا يتجلى حنكة الحجاج وسياسته في إدارة شؤون الولاية وضبط الأوضاع فيها.

ولم يقتصر تدخل الحجاج في تعيين العمال وعزلهم فحسب، إنما كان يراقب من يشغل بقية المناصب الحساسة الأخرى في الولايات، فعندما شعر بعدم كفاءة رئيس الشرطة قتيبة بن مسلم في خراسان، أمره أن يعزله ويستبدل به غيره، يقول النويري: (... وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم وإلى خراسان: أما بعد، فإن وكيع ابن حسّان(٧) كان بالبصرة منه ما كان، ثم صار لصّا بسجستان، ثم صار إلى خراسان، فإذا أتاك كتابي

---

(١) الراوي، العراق في العصر الاموي، ص٤٧؛ السامرائي، عبد الجبار محسن، الدولة العربية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان دراسة في اصلاحاتها المالية وتنظيماتها الادارية، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦، ص٢٧٠.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤، ج٢، ص٣٢؛ طه، العراق في عهد الحجاج، ص١١٦.

(٣) الحكم بن ايوب الثقفي، ابن عم الحجاج وزوج اخته، ولاه البصرة اكثر من مرة، قتل علي يد صالح بن عبد الرحمن مع جماعة من ال الحجاج في العذاب بامر سليمان بن عبد الملك. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق ، ج٩، ص١٧٩.

(٤) البلاذري، انساب الاشراف، ج١٣، ص٤١٢.

(٥) مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري يكنى أبا الحسن وأمه أم ولد تسمى صفية، وكان هو وأبوه من أشراف أهل الكوفة وتزوج الحجاج أخته هند بنت أسماء، وفد على عبد الملك بن مروان، وتقلد خوارزم، وأصبهان للحجاج، وكان عاملا للحجاج على الحيرة، ووقع منه ما أوجب حبسه مدة طويلة. المرزباني، أبي عبيد الله محمد بن عمران (ت: ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤م)، معجم الشعراء، بتصحيح وتعليق: ف. كرنكو، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٢ م، ص ٣٦٤؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج٢٤، ص٨.

(٦) الاصفهاني، الاغاني، ج١٧، ص ١٤٨؛ السامرائي، الدولة العربية ، ص٢٧١.

(٧) وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سود الغداني التميمي، يكنى أبا مطرف، كان رأسًا مع قتيبة في حروبه، وله بلاء مع الترك، فكتب الحجاج إلى قتيبة بقتله، فعزله عن الرئاسة فحقد عليه؛ ولذلك سعى لقتله، فلما ولي سليمان ثار قتيبة عليه وخلعه،

هذا فاهدم بناءه واحلل لواءه. وكان على شرطة قتيبة فعزله وولّى الضّبيّ)(١)، وكان الحجاج على مقربة من عماله، وكان يوصيهم بعدم قبول الهدايا، لأن صاحب الهدية لا يرضى بعشر أمثالها(٢)، هذا يدل على حنكة وخبرة الحجاج بأمور الإدارة.

وكان الحجاج يراقب عماله مراقبة دقيقة ولا يتسامح مع من يقصر في عمله، ويعاقب الولاة الذين يستسيغون الخيانة أو يجمعون الأموال بصورة غير مشروعة ومن ذلك، أنه ولي أحدهم ولاية وكان علي بن أبي طالب قد قطع أصابعه لخيانة ظهرت منه، فقال له الحجاج: (والله لِئنْ بلغَتْني عنك خيانةٌ لأقطعنَّ ما أبقى عليٌّ من يدِك)(٣).

يتضح مما سبق أن الحجاج كان حريصا على توفر عامل الكفاءة والنزاهة لدى عماله وكان هدفه خدمة المصلحة العامة وليس مصلحته الخاصة، فقد كان لا يتسامح مع الرشوة والخيانة ويعاقب على جمع الثروات بصورة غير مشروعة كل ذلك كان يصب في المصلحة العامة.

٢ ـ تعيين صاحب الشرطة على الأمصار:

كان للشرطة أهمية كبيرة لحفظ الأمن والنظام في الدولة العربية الإسلامية، وهي جزء من النظام الإداري للدولة في تلك الحقبة، لهذا كان لمتولي الشرطة يجب أن تتوفر فيه صفات خاصة، وهذا واضح من الصفات التي يطلب الحجاج توفرها في صاحب الشرطة، يذكر ابن عبد ربه: أن الحجاج قال: (دلوني على رجل أوليه الشرطة. فقيل له: أي الرجال تريد؟ قال: أريد دائم العبوس، طويل الجلوس، سمين الأمانة، أعجف الخيانة، لا يحنق في الحق على حر أو حرة، يهون عليه سبال الأشراف في الشفاعة)(٤)، إن شروط الحجاج في اختيار صاحب الشرطة تلقي ضوءا مهما على سياسته في اختيار عماله، ورغبته الجدية في توفير الجو الملائم لصاحب الشرطة في العمل(٥)، وذكر أنه وقع اختياره على عبد الرحمن بن عبيد التميمي(٦)، الذي اشترط في قبول هذا

فقتله وكيع فحظي عنده فولاه خرسان تسعة أشهر ثم عزله. البلاذري، الانساب، ج١٢، ص١٩٠؛ الدينوري، المعارف، ج١، ص٤١٥.

(١) احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣١٣م) نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ج٦، ص٤٧.

(٢) الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد(ت: ٥٠٢هـ/١١٠٨م) محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الارقم بن ابي الارقم، بيروت، ١٩٩٩م، ج١، ص٢١٥.

(٣) الازدي، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت:٣٢١هـ/ ٩٣٣م) الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١، ص٢٧٢.

(٤) ابو عمر شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد ربه (ت: ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ج٥، ص٢٨٠.

(٥) طه، العراق في عهد الحجاج، ص١٢٠.

(٦) عبد الرحمن بن عبيد التميمي، كان على شرطة الحجاج ولاه شرطة الكوفة والبصرة، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٨٠؛ وعند البلاذي في انساب الاشراف عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي، ج٧، ص٢٨٦.

الأمر أن : (لست أقبلها إلا أن تكفيني عيالك وولدك وحاشيتك)(١)، فأمر الحجاج أن ينادي في الناس: إن طلب الشفاعة إلى صاحب الشرطة غير مسموح به وخاصة من أولاد الأمير وأهله وحاشيته، ومن فعل ذلك منهم فقد برئت منه الذمة(٢).

وكان الحجاج يعين رجلا على شرطة الكوفة، فإن رأى منه كفاءة ضم اليه شرطة البصرة أيضا، مثل ما عمل مع عبد الرحمن بن عبيد، وفي هذه الحالة كان صاحب الشرطة يقضي فصل الصيف في الكوفة وفصل الشتاء في البصرة، وكان صاحب الشرطة هو الذي يعين نائبه عنه عندما يغادر أحد المصرين إلى المصر الآخر(٣)، وفي بعض الأحيان كان يجعل لكل مصر صاحب شرطة ، فولى شرطة الكوفة زياد بن جرير بن عبد الله البجلي وشرطة البصرة عامر بن مسمع بن مالك(٤)، وبعد بناء واسط ابتدأ الحجاج باستخدام اهل الشام لتولي منصب صاحب الشرطة فيها فقد كان على شرطته بواسط أربعة من أهل الشام : موسى ابن وجيه الحميري، ومهاصر بن سحيم الطائي ، وعكرمة بن الأوصافي حميري، وأبو علاقة السكسكي، ثم قفل أبو علاقة إلى الشام وولى سفيان بن سليم الأزدي(٥)، وكان لرضا الناس وموافقتهم على تصرفات صاحب الشرطة أثر في بقائه في منصبه، فعندما شكا أهل ميسان(٦) صاحب الشرطة، الذي كان عاملهم في الوقت نفسه، أمر الحجاج بحبسه(٧)، مما سبق يستدل بأن الحجاج لم يكن مستبدا في تعيين صاحب الشرطة إنما كان ديمقراطيا – بالمصطلح الحديث- فقد كان تولي صاحب الشرطة وفق معايير وضوابط وضعها الحجاج، منها الكفاءة، ومدى رضا الناس عليه ومافقتهم على توليه، وعدم تدخل أصحاب الجاه والسلطة في عمله.

ويعد صاحب الشرطة الرجل الإداري الثاني بعد الوالي أو العامل، ويستدل على أهميته من الواجبات الكثيرة الملقاة على عاتقه فهو الذي يحفظ الأمن، ويفض المنازعات ويتعقب اللصوص وقطاع الطرق والثوار، ويعاقب الذين يخرجون على النظام والعرف العام، ويتولى معاونوه أعمال الحراسة في الليل والنهار ومراقبة تطبيق القوانين والأنظمة ومعاقبة المخالفين من الذين يتخلفون عن الخروج في الحملات العسكرية أو أولئك الذين يخرقون نظام منع التجوال في الليل والمتقاعسين عن أداء الديون وغير ذلك من الأمور العامة التي تحدث داخل المدن(٨).

كان عدد شرطة الحجاج كثيرة، ومهامهم كثرة فقد قدر عددهم يزيد على أربعة آلاف شرطي (٩)، ولم تكن مهمتهم تقتصر على حفظ الأمن والنظام بل كانت لهم مهمة القضاء على الاضطرابات الداخلية، واستخدامهم

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٨٠.

(٢) الدينوري، عيون الاخبار، ج١، ص٧٠؛ السامرائي، الدولة العربية الاسلامية، ص٢٧٢.

(٣) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٠٨؛ طه، العراق في عهد الحجاج، ص١٢١.

(٤)ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٠٨؛ الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٢٦.

(٥) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٠٨.، طه، العراق في عهد الحجاج، ص١٢١.

(٦) كورة واسعة في العراق كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان، فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ♦ . الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٢.

(٧) طه، العراق في عهد الحجاج، ص١٢١.

(٨) اق بيق، قراءة في سيرة الحجاج، ص١١١.

(٩) طه، العراق في عهد الحجاج، ص١٢٢.

في الحروب، فقد أرسل الحجاج ألفا من الشرطة بقيادة الحرث بن معاوية الثقفي لمحاربة شبيب الخارجي (١)، كما كان لهم إسهام في القضاء على تمرد الزنج(٢) بقيادة رياح في البصرة(٣).

٣ ـ القضاء في عهد الحجاج بن يوسف:

أما القضاء فكان هو أيضا جزءا مهما من إدارة العراق، فكان في كل من الكوفة والبصرة وواسط قاض ينظر في القضايا التي تعرض أمامه، محتفظا بسجلات خاصة لتدوين القضايا وغالبا ما يمارس عمله في المسجد(٤)، وكان اختيار القضاة يتم على أساس الكفاءة والنزاهة دون النظر إلى الاعتبارات القبلية أو الإقليمية، فعندما عين شريح بن الحارث الكندي(٥) قاضيا على الكوفة وظل يشغل هذ المنصب مدة طويلة إلى أن اتهمه أحد الناس بالجور والتحيز فطلب من الحجاج أن يعفيه من هذه المهمة فقال له الحجاج :(والله لا أعفيتك أو تدلني على من إذا غضب على الخصوم رجح به حلمه عن الهجوم، ومن إذا دعاه كثرة المال لم ينهضه إليه سوء الحال فقال: أدلك على شريف عفيف يمنعه شرفه من التسلط عليه وتحجبه عفته عن التملق قال: من هو؟ قال: ابن أبي موسى الأشعري فاحضره وولاه)(٦)، ومن هذا يمكن القول :إن الحجاج كان حريصا على تولي القضاء من يتصف بالكفاءة والنزاهة دون النظر إلى الاعتبارات الأخرى.

وفي الأمصار التي كان عليها ولاة من قبل الحجاج، كان العامل أو الوالي يعين القضاة ويعزلهم دون الرجوع إلى الأمير، وما يدل على ذلك ما يذكره صاحب أخبار القضاة عن الحكم بن أيوب الذي كان عاملا للحجاج على البصرة:(فاستقضى هشام بن هبيرة، فلم ينشب هشام حتى مات قاضيا في أول سلطان الحجاج. وقال: محمد بن عبد الله الأنصاري: استقضى الحكم بن أيوب النضر بن أنس، ثم عزله، فاستقضى أخاه موسى بن أنس بن مالك) (٧).

(١) الطبري، تاريخ، ج٦، ص٢٧٤؛ ابن خلدون ، العبر، ج٣، ص١٩٨.

(٢) خرج الزنج بالبصرة سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م، فاجتمع منهم خلق كثير بالفرات، وجعلوا عليهم رجلا اسمه رباح، ويلقب شير زنجي، أي أسد الزنج فعاثوا خرابا بالبصرة وما جاورها، فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد بن عمرو، وهو على شرطة البصرة، أن يرسل إليهم جيشا يقاتلهم، ففعل وسير إليهم جيشا عليه ابنه حفص بن زياد، فقاتلهم، فقتلوه وهزموا أصحابه، ثم أرسل إليهم جيشا آخر، فهزم الزنج وقتلهم، واستقامت البصرة. ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٣٢.

(٣) البلاذري، انساب الاشراف، ج٧، ص٣٠٠؛ السامرائي، الدولة العربية الاسلامية، ص٢٧٢.

(٤) وكيع، ابو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة (ت: ٣٠٦هـ / ٩١٨م) اخبار القضاة، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٤٧، ج٢، ص٣١٦؛ السامرائي، الدولة العربية الاسلامية، ص٢٧٣.

(٥) شريح بن الحارث الكندي ولاه عمر بن الخطاب ♦ على قضاء الكوفة واستمر في عمله باستثناء مدة قصيرة، الى عهد الحجاج، توفي في السنوات الاولى من حكم الحجاج. ابن خياط، تاريخ خليفة، ص٣٠١؛ وكيع، اخبار القضاة، ج٢، ص١٨٩.

(٦) الاصفهاني، محاضرات الادباء، ج١، ص٢٤٣.

(٧) وكيع، اخبار القضاة، ج١، ص٣٠٣.

وكان للقاض مساعدين وكتاب يتولون تسجيل القضايا والأحكام ويقومون في الوقت نفسه بمهمة المساعد والمشير، وكان يشغل هذا المنصب رجال ذو علم وفقه مثل :سعيد بن جبير (١) الذي عينه الحجاج كاتبا ووزيرا للقاضي أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (٢)، وكان الحجاج يراقب قضاته دون استثناء ويلاحظ تصرفاتهم ويعلق عليها، فمثلا قال (الحجاج لعبد الرحمن بن أذينة(٣): أنت أكثر كلاما من الخصم؛ قال: لأني أكلم الخصم والشاهدين)(٤).

المطلب الثالث: الدواوين في العراق في عهد الحجاج بن يوسف:

١ – تعريب الدواوين:

كان الديوان(٥) في عهد عمر بن الخطاب يعني السجل الذي يحوي أسماء المقاتلين وأهليهم ومقدار اعطياتهم وأرزاقهم أي ديوان الجند، وحين تعددت الدواوين صار معناه السجل بصورة عامة وصار المعنى أخيرا يطلق على المكان الذي يحفظ فبه السجل(٦)، ويعرفه القلقشندي بقوله: (أما الديوان فاسم للموضع الذي يجلس فيه الكتّاب) (٧)، وبعد فتح العراق واستقرار العرب فيه أصبح في الكوفة والبصرة ديوانان، أحدهما بالعربية لإحصاء الناس واعطياتهم، وهو الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب والأخر للأمور المالية وحساباتها بالفارسية(٨)، لأن العرب أبقوا في البداية على معظم التنظيمات القديمة في البلاد المفتوحة، وذلك لانشغال العرب المسلمين بأمور التحرير والفتوح وتركيز أسس الدولة ، واستمر هذا الحال حتى عصر الخليفة عبد

(١) سعيد بن جبير: ويكنى أبا عبد الله مولى لبني والبة بن الحارث من بني أسد بن خزيمة، تابعي روى عن ابن عمر وابن عباس وغيرهم، عالما فقيها، قتله الحجاج سنة٩٥هـ/ ٧١٣م وكان سبب قتله أن سعيد بن جبير خرج مع ابن الأشعث على الحجاج، وكان على عطاء الجند فلما هُزِمَ ابن الأشعث هرب إلى أصفهان فطلبه الحجاج فخرج إلى أذربيجان فأقام بها مدة، ثم خرج معتمرًا فاستقر به الحال بمكة، ولما ولي مكة خالد بن عبد الله القسري، أخذه وأرسله إلى الحجاج في العراق. الدينوري، المعارف، ج١، ٤٤٥؛ الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٨٧.

(٢) الدينوري، عيون الاخبار، ج١، ص١٢٨؛ اق بيق، قراءة في سيرة الحجاج، ص١٢١.

(٣) عبد الرحمن بن أذينة العبدي قاضي البصرة، يروي عن: أبيه، وأبي هريرة، والشعبي، وقتادة، وأبو إسحاق، ويحيى بن أبي إسحاق الحضرمي، ولاه الحجاج قضاء البصرة سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م، وبقي إلى ان مات سنة ٩٥هـ/٧١٣م. الذهبي، تاريخ الاسلام،ج٦، ٤١١.

(٤) وكيع، اخبار القضاة، ج١، ص٣٠٦.

(٥) كلمة ديوان في الاصل كانت تطلق على الكتبة، ثم تحول المعنى الى محل جلوسهم وعملهم فأصبح يطلق عليه الديوان. الدينوري، عيون الاخبار، ج١١٠؛ الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) الاحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، ص٢٩٧.

(٦) الدوري، عبد العزيز، النظم الاسلامية الخلافة الضرائب الدواوين الوزارة، وزارة المعارف العراقية، ١٩٥٠، ص ١٩٤؛ طه، العراق في عهد الحجاج، ١٣٥.

(٧) احمد بن علي بن احمد (ت:٨٢١هـ / ١٤١٨م) صبح الاعشى، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج١، ص١٢٣.

(٨) الجهشياري، ابي عبد الله محمد بن عبدوس (ت:٣٣١هـ/ ٩٤٢م)، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، واخرون، مطبعة مصطفى الباني الحلبي واولاده، القاهرة، ١٩٣٨، ص٣٨؛ طه/ العراق في عهد الحجاج، ١٣٥.

الملك بن مروان الذي بدأ بحركة الإصلاح والتعريب الشاملة لجميع أجهزة الدولة وإدارتها، وكان تعريب دواوين الخراج جزءا منها، إذ استمرت دواوين الخراج حتى عهده في البلاد المحررة تكتب بلغات أجنبية فكانت في العراق والمشرق الإسلامي تكتب باللغة الفارسية، وفي الشام تكتب باليونانية، وفي مصر باليونانية والقبطية(١).

يذكر سبب نقل الدواوين في العراق إلى العربية أن كاتب الحجاج بن يوسف كان زاذان فروخ، وكان معه صالح بن عبد الرحمن يكتب بين يديه بالعربية والفارسية، فأوصله زاذان فروخ إلى الحجاج، فخف على قلبه، فقال صالح لزاذان فروخ: إن الحجاج قد قربني ولا آمن أن يقدمني عليك؛ فقال: لا تظن ذلك فهو إلى أحوج منك إليه، لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيرى؛ فقال له صالح: والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لفعلت؛ فقال: فحول منه ورقة أسطرا حتى أرى، فحول منه شيئا كثيرا، فقال زادان فروخ لأصحابه : التمسوا مسكنا غير هذا(٢)، وعند البلاذري: أن زادان فروخ قتل أيام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي وهو خارج من منزل كان فيه إلى منزله فاستكتب الحجاج بن يوسف صالحا مكانه فأخبره بالذي جرى بينه وبين زادان فروخ في نقل الديوان فعزم الحجاج على أن يجعل الديوان بالعربية وامر صالحا بذلك، فقال له مردانشاه بن زادان فروخ: كيف تصنع بدهوية وششوية؟، قال: اكتب عشر ونصف عشر، قال: فكيف تصنع بويد؟ قال: اكتبه أيضا والويد النيف والزيادة تزاد، فقال: قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية وكان هذا سنة (٧٨هـ / ٦٩٧م) (٣).

وكان لتعريب الدواوين أثر حضاري كبير من الناحيتين السياسية والأدبية، فقد أصبحت لغة الدواوين هي اللغة العربية، وقد ساعد ذلك على تقليص نفوذ أهل الذمة بعد أن انتقلت مناصبهم إلى أيدي المسلمين من العرب، أما من الناحية الأدبية فقد أصبحت اللغة العربية لغة التدوين، ونقل إليها كثير من المصطلحات الفارسية والرومانية واليونانية، وساعد على انتشار العربية بين الموالي، وأصبحت العربية لغة الإدارة والثقافة، فضلا عن أنها لغة السياسة والدين، وأخذت طبقة الكتاب تظهر منذ ذلك الحين(٤)، ويرى أحد الباحثين، أن موضوع سيادة اللغة العربية ، على أهميته، لم يكن العامل الوحيد لعملية التعريب، فقد كان الحجاج حريصا على ضبط الإدارة والاطلاع على كل الأمور التي تجري في الولاية، لهذا فمن المفروض أنه إذا أراد أن يدرس سجلات الضرائب ويتحقق منها بنفسه، فهذا لا يتم بطبيعة الحال إلا بعملية التعريب، فكان هذا من أهم دوافعه لنقل الدواوين إلى العربية، كما كان يتوخى غاية أخرى، وهي الإشراف على شؤون الإدارة المالية بنفسه (٥)، وهذا يدل على مدى حرصه وتفانيه في أداء واجبه اتجاه الدولة.

([1]) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٣٨؛ حسن، حسن ابراهيم، حسن، علي ابراهيم، النظم الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص١٧٤.

([2]) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٣٠١؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٣٨.

([3]) البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨، ص٢٩٤.

([4]) حسن، النظم الاسلامية، ص١٧٤؛ الدوري، النظم الإسلامية، ص١٩٨.

([5]) طه، العراق في عهد الحجاج، ص١٤١.

٢ ـ الدواوين في العراق في عهد الحجاج:

كانت الدواوين في الدولة الأموية تمثل أهم مظهر من مظاهر التنظيم الإداري فيها، فكانت دمشق مركزا لدواوين عديدة تشرف على إدارة الدولة بوجه عام، كما اتخذت الأقاليم التابعة للدولة الأموية دمشق قدوة لها في هذا الشأن فأوجدت الدواوين التي تحتاج إليها لكي تشرف على إدارتها، فأصبح في إقليم العراق العديد من الدواوين التي تشرف على إدارة العراق والمشرق، وسوف نتناول أهم الدواوين التي كانت موجودة في عهد الأمير الحجاج بن يوسف الثقفي عندما كان أميرا على العراق.

أ ـ ديوان العطاء:

وفيه تسجيل أسماء اخذي العطاء ومقدار اعطياتهم وظل هذا الحق مقصورا على العناصر العربية التي نزلت في الامصار كالبصرة والكوفة كقوات مقاتلة ثم لحقت بها أسرها وقطاعات من القبائل التي تنتمي إليها حين الفتح وتحولت كل من الكوفة والبصرة إلى مدن عسكرية ومدنية في آن واحد، ولم يكن من الممكن عمليا أن يظل باب العطاء مفتوحا أمام كل عربي وافد إلى الأمصار، مما جعل بعض القبائل تدخل في نصيبها من العطاء أبناء قبيلتها الوافدين الذين عرفوا بالروادف (١).

وكان في العراق أول الأمر ديوانان للعطاء أحدهما في الكوفة والأخر في البصرة، وانشأ الحجاج ديوانا ثالثا في واسط بعد أن بناها، لإثبات اعطيات العناصر العربية الموالية له ولا سيما جند الشام، وكان يشرف على الدواوين في العراق كتاب يجيدون العربية ويقومون بتسجيل أسماء أصحاب العطاءات في المدن كالكوفة والبصرة وواسط، على شكل مجموعات عرفت بالأرباع في الكوفة وبالأخماس في البصرة (٢).

ويرجع هذا التقسيم الإداري والمالي إلى عهد زياد ابن أبيه (٣) الذي قسم العرب في الكوفة إلى أربع زمر، فلا ينتسب الشخص إلى قبيلته بل إلى زمرته، وعين على كل زمرة رئيسا مسؤولا أمامه مباشرة، وكان يهدف زياد من وراء ذلك التقسيم إضعاف الولاء القبلي الضيق وإحلال ولاء الأفراد للدولة محله، وظل هذا التنظيم قائما زمن الحجاج ومن بعده مدة طويلة، وعليه يتم دفع العطاء الى رؤساء هذه التقسيمات الذين يسلمونه إلى عرفاء القبائل، إذ يوزع على المسجلين في ديوان العطاء (٤).

وكان لهذا التقسيم أثر بارز في التنظيم الإداري والمالي والعسكري، إذ كان هؤلاء العرفاء هم مسؤولون عن إحصاء مستحقي العطاء وما يزيد أو ينقص منهم، كما كان عليهم تقديم العدد اللازم من الجند عند إرسال البعوث فضلا عن أنهم أكانوا مسؤولين عن تصرفات أراد قبائلهم وعشائرهم أمام الأمير ورفع التقارير عن كل ما يحدث في القبيلة، وعن المشاغبين فيها ولهم صوت مسموع في تقرير موقف القبيلة أو العشيرة من الأحداث

---

(١) اق بيق، قراءة في سيرة الحجاج، ص١٢٥.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٧٠.

(٣) زياد ابن ابيه: كان بعضهم يقول: زياد ابن أبيه، وبعضهم يقول: زياد الأمير، ولد عام الفتح بالطائف، ولى البصرة لمعاوية حين ادعاه وضم إليه الكوفة، فكان يشتي بالبصرة، ويصيف بالكوفة، كما عمل كاتبا لابي موسى الاشعري وقد روى عنه الاحاديث، كما رويت عن زياد احاديث، وكان نقش خاتمه طاوسا، مات بالكوفة وهو واليا عليها سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م. ابن سعد، الطبقات، جج٩، ص٩٨-٩٩.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٧٠، اق بيق، قراءة في سيرة الحجاج، ص١٢٦.

السياسية الكثيرة في ذلك العصر، وفي الجملة العرفاء هم صلة الوصل المباشرة بين الولاة والعمال ورعاياهم العرب (١)، وقد أدرك الحجاج أهمية دور العرفاء فحرص منذ توليه العراق على جعل من يثق بهم هذا المنصب فعزل العرفاء السابقين، واختار عرفاء جددا للقبائل من ذوي العلم والمكانة والنفوذ وكان يدرج أسماءهم في شرف العطاء الذي بلغ في زمنه ألفي درهم في السنة، يذكر صاحب الجليس الصالح في اختيار الحجاج العرفاء عندما قدم الى الكوفة بقوله: (لما قدم الحجاج الكوفة قال لابن أبي مسلم: اعرض على العرفاء، فعرضهم عليه فرأى فيهم وحشا من وحش الناس، قال: ويحك: هؤلاء خلفاء الغزاة في عيالهم؟ قال: نعم، قال: اطرحهم واغد علي بالقبائل، فغدا عليه بالقبائل على راياتها، فجعلوا يعرضون عليه فإذا وقعت عينه على رجل دعاه، فدعا بالشعبيين فمرت به السن الأولى فلم يدع منهم أحدا، ومرت به السن الثانية فدعاني، فقال: من أنت؟ فأخبرته؟ فقال: اجلس، فجلست، فقال: قرأت؟ قلت: نعم، قال: رويت الشعر؟ قلت: قد نظرت في معانيه، قال: نظرت في الحساب؟ قلت: نعم، فقال: لابن أبي مسلم: إنا لنحتاج إليه في بعض الدواوين، قال: رويت مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: نعم قال: حدثني بحديث بدر، قال: فابتدأت له من رؤيا عاتكة حتى أذن المؤذن للظهر، ثم دخل وقال: لا تبرح، فخرج فصلى الظهر وأتممتها له، فجعلني عريفا على الشعبيين ومنكبا على جميع همدان وفرض لي في الشرف، فلم أزل عنده بأحسن منزلة) (٢).

ب - ديوان الجند:

وهو الديوان الذي وضع أسسه الخليفة عمر بن الخطاب لحفظ أسماء الجند وتحديد اعطياتهم ومراتبهم، وقد تطورت طبيعة هذا الديوان في العصر الأموي فكان يقوم بوظيفة إحصاء أسماء الجند وتسجيل مقدار اعطياتهم(٣)، وإن أعلى عطاء في هذا الديوان ألفي درهم وأقله ثلاثمائة درهم، وعلى الجندي أن يجهز نفسه بالسلاح والعتاد اللازم بما في ذلك فرسه، وكل من أدرج اسمه في هذا الديون، عليه أن يشترك في أداء الواجبات العسكرية، وكان العراض يقوم باستعراض هؤلاء الجند والتأكد من لياقتهم البدنية واكتمال سلاحهم وعدتهم قبل التوجه الى القتال(٤)، وفي كثير من الأحيان كان الحجاج يشترك في استعراض الجند وتفقد استعداداتهم واكتمال عدتهم ، (وعرض الحجاج الجند يوما فمر به رجل لا سلاح عليه فقال له: أين سلاحك يا بن نوح؟ فقال: تغافل أيها الأمير، فكف عنه، ومر به رجل من أهل حمص لا سلاح عليه، فقال له: أين سلاحك؟ قال: تغافل أيها الأمير فأمر به فضرب مائة سوط) (٥).

وفي حالة كثرة تغيب الشخص عن العرض وعدم وجوده في مكتبه أي في المكان المسجل فيه اسمه فإنه يشطب اسمه من الديوان، ويتعرض إلى عقوبة صارمة، وكان لا يسمح بنقل اسم جندي من ديوان إلى آخر إلا بعد موافقة أولي الأمر (٦).

---

(١) اق بيق، قراءة في سيرة الحجاج، ص١٢٦.

(٢) النهرواني، ابو الفرج المعافي بن زكريا بن يحيى الجريري (ت: ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م) الجليس الصالح الكافي والانيس الناصح الشافي، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥، ص٥٤.

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٣٨؛ حسن، النظم الاسلامية، ص١٧٤.

(٤) اق بيق، قراءة في سيرة الحجاج، ص١٢٩.

(٥) البلاذري، انساب الاشراف، ج١٣، ص٤٢١.

(٦) البلاذري، انساب الاشراف، ج ٨، ١٨؛ خماش، نجدة، الادارة في العصر الاموي، دار الفكر، ١٩٨٠، ص٢٦٨.

ت ـ ديوان الخراج:

الخراج كما يقول الماوردي هو كل ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها، أي هو جزية الأرض أو الضريبة التي فرضها المسلمون عليها بعد الفتح (١).

يعد ديوان الخراج من أهم دواوين الدولة لأنه مصدر جميع الأموال للأقاليم والدولة، وكان الخليفة عبد الملك يدرك تلك الحقيقة فيقول: الملك لا يصلح إلا بالرجال، والرجال لا يقيمها الا الأموال، كما اعتبر الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموال أحد الأركان الأربعة التي تثبت السلطة (٢)،

وفي عهد ولاية الحجاج على العراق كان لكل إقليم ديوان خاص ينظم وضع هذه الضريبة وجبايتها كما هناك ديوان مركزي للخراج في الدولة الأموية بدمشق(٣)، والولاة والخلفاء يشرفون إشرافا مباشرا على هذا الديوان المهم، ويذكر أن بصر الحجاج ضعف لكثرة نظره في الدفاتر(٤)، وتولى شؤون ديوان الخراج زمن الحجاج موظفون ينحدرون من أصول فارسية ويتقنون لغتها فضلا عن إلمامهم بالعربية، منهم زاذان فروخ وابنه مردانشاه اللذان يرجعان إلى أصول فارسية، وصالح بن عبد الرحمن الذي كان يتقن اللغة الفارسية إلى جانب لغته العربية، وذلك لأن سجلات ديوان الخراج التي شملت جميع الأراضي الخراجية بما في ذلك أراضي الصوافي(٥)، وحدود جميع هذه الأراضي وأسماء أصحابها والمبالغ المستحقة عليها كانت تسجل بالفارسية قبل تعريب الدواوين كما سبق أما المسؤول عن ديوان الخراج كله فكان الحجاج نفسه(٦).

ث ـ ديوان البريد:

كانت مهمة صاحب البريد الرئيسية هي نقل الاخبار والرسائل بين العاصمة والأمصار التابعة لها، او بين الولايات، وهو من أهم دواوين الدولة السياسية، لأن موظفه يقوم بمهام جمع الأخبار وارسالها بصورة سريعة ودقيقة الى الخليفة، والظاهر أنه كان ينقل بعض الحاجات والمواد للدولة، وينسب إنشاؤه إلى الخليفة معاوية بن ابي سفيان ، وانه استعان بخبرة الفرس والروم في ذلك(٧)، وللبريد محطات على طول الطرق مزودة بالحراس ,والادلاء ,والحيوانات, والطعام لضمان نقل البريد وتبديل سعاة البريد، وكان للبريد شخص مخصوص يتولى امره بتنفيذ ما يصدر وتلقى ما يرد يعبر عنه بصاحب البريد، ولأهمية البريد كان الخليفة عبد الملك بن مروان يأمر حاجبه أن يدخل عليه صاحب البريد متى جاء في اليل أو النهار يعلل ذلك بقوله:(فربما أفسد على القوم

---

(١) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٢٢٧.

(٢) اق بيق، قراءة في سيرة الحجاج، ص١٣٠؛ خماش، الادارة في العصر الاموي، ص٢٧٢.

(٣) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٣٨.؛ خماش، الادارة في العصر الاموي، ص٢٧٣.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص ٣٠٤؛ خماش، الادارة في العصر الاموي، ص٢٧٣.

(٥) اراضي الصوافي: هي اراضي الاسر الحاكمة والنبلاء الذين قتلوا او هربوا اثناء الفتوح، وبعض الاراضي العامة، اعتبرت صوافي لبيت مال المسلمين، وللخليفة أن ينيب في استغلالها او أن يقطع منها. الدوري، عبد العزيز، نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية، مجلة دار الاجتهاد، عدد١، خريف ١٩٨٨، ص٢٤٩.

(٦) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٣٠١؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٣٨.

(٧) القلقشندي، صبح الاعشى، ج١٣، ص٤١٣؛ الدوري، النظم الاسلامية، ص١٧٠.

سنة حبسهم البريد ساعة)(١)، ولم يكن من مهام صاحب البريد فقط عرض الرسائل والتقارير المتراكمة لديه، وانما كان من مهامه تعيين الموظفين المحليين في المدن المختلفة والأشخاص المناسبين في المحطات المختلفة على الطرق وتعيين السعاة والاهتمام بدفع المرتبات والأرزاق لهم(٢).

ولقد أولى الحجاج عناية واهتمام خاص بشؤون البريد إذ رأى أن هنالك ضرورة لاتصاله الدائم والمامه السريع بأخبار الجيوش العربية في الساحات الشرقية فقام بتحسين طرق المواصلات التي يسير عليها صاحب البريد ويدل على ذلك سرعة وصول الأخبار منه وإليه، فقد ذكر أن كتب الحجاج كانت ترد على محمد بن القاسم الثقفي في بلاد السند وكتب محمد ترد إليه كل ثلاثة أيام(٣)، كما اتخذ الحجاج المناظر لنقل الاخبار بسرعة بين واسط وقزوين، وذلك بإشعال النار عليها ليلا: (إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر، إن كان نهارا، وإن كان ليلا أشعلوا النيران فتجرد الخيل إليهم)(٤).

٦ – بناء مدينة واسط:

تعد مدينة واسط من المدن النهمة ليس بتاريخ العراق فحسب، وإنما في تاريخ الإسلام، وكان بناؤها بأمر الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد اختلف أراء المؤرخين والجغرافيين العرب في سبب تسمية مدينة واسط، بهذا الاسم، فقيل سميت واسطا لأن الموضع الذي اختاره الحجاج لبناء المدينة كان يسمى (واسط القصب) فسميت واسط بهذا الاسم(٥)، وقيل ان ارضها كانت أرض قصب، فسميت واسط القصب(٦)، وقيل :لأن موقعها وسط بين البصرة والكوفة والأهواز فهي تبعد بمقدار أربعين فرسخا(٧) عن كل من المواقع الثلاث(٨)، بدأ الحجاج ببناء مدينة واسط سنة(٨٣ او ٨٤هـ/ ٧٠٢ او ٧٠٣م) ، واتم بناءها سنة (٨٦هـ/ ٧٠٥م)(٩) أما بجشل فيذكر

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج١٣، ص٤١٣.

(٢) خماش، الادارة في العصر الاموي، ص٢٨٤.

(٣) البَلَاذُري، فتوح البلدان، ص٤٢٠؛ المعاضيدي، عبد القادر، واسط في العصر الاموي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦، ص ٢٩٤.

(٤) ابن الفقيه، ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحاق الهمداني(ت: ٣٦٥هـ/٩٧٥م) **البلدان**، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب ، بيروت، د. ت، ص٢٦٦.

(٥) بجشل، اسلم بن سهل الرزاز الواسطي(ت: ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م) تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦، ص٣٨؛ الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٧.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٨٤؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٢٦٤.

(٧) الفرسخ يساوي ٣ اميال، أي حوالي ٦ كم. هنتس, فالتر, المكاييل والأوزان الإسلامية , ترجمة كامل العسلي, منشورات الجامعة الأردنية, عمان, ١٩٧٠، ص٩٤.

(٨) ابن الفقيه، البلدان، ص٢٦٤؛ الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٧.

(٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٨٤؛ الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٧؛ طه، العراق في عهد الحجاج، ص١٥٥.

أن البناء ابتدأ سنة(٧٥هـ/ ٦٩٤م) وانتهى سنة (٧٨هـ/ ٦٩٧م)(١)، والراجح في اختيار الحجاج هذا الموضع وقوعه وسطا بين البصرة والكوفة والأهواز، إذ إنها تبعد عن كل منها نحو اربعين فرسخا(٢).

اشرف على بناء المدينة للحجاج رجل يدعى موسى العنزي بأمر من الحجاج، فبنى القصر والمسجد والسورين، وحفر الخندق، واهتم الحجاج بالأبواب، فنقل اليها أبواب من الحديد كانت في بعض المدن المجاورة(٣)، كما بنى المسجد والقصر والقبة الخضراء التي أطلق عليها اسم خضراء واسط، في الجانب الغربي، ثم وصل بين الجانبين بجسر من السفن، ونقل إلى المدينة بعض وجوه أهل الكوفة والبصرة، ومنه من أهل الشام(٤)، ونقل أيضا جماعات من أهل بخارى الذين كانوا يسكنون البصرة، ثم قام بتنظيم المدينة وأسواقها، فصنف أصحاب المهن والأعمال فيها ووزعهم في الأسواق على قطاعات ثلاثة، لأهل كل تجارة مكان مخصص لا يخالطهم فيه أحد، ومنع النبط من دخول المدينة، كما منع أهل السواد من السكن والمبيت فيها ليلا، لكنه سمح لهم بدخولها نهارا لقضاء حوائجهم، وكان حرس الأبواب هم المكلفون بتنفيذ هذه الأوامر(٥).

ولما فرغ الحجاج من بناء المدينة، كتب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، إني اتخذت مدينة في كرش من الأرض بين الجبل والمصرين وسميتها واسطا، ولذلك سمى أهل واسط بالكرشيين(٦)، ويذكر أن الحجاج أنفق على بناء المدينة خراج العراق كله لمدة خمس سنين(٧)، ويرى الحموي: أنه (أنفق الحجاج على بناء قصره والجامع والخندقين والسور ثلاثة وأربعين ألف درهم)(٨).

إن بناء واسط على ما وصفته المصادر التاريخية يعطي صورة واضحة على مدى اهتمام الحجاج بن يوسف بفن العمارة الإسلامية، ومما يؤكد ذلك توفير كل ما يلزم الناس للعيش في المدينة كالمسجد الجامع، ودار الإمارة، والأسواق المتنوعة، وهكذا أضاف الحجاج عملا خالدا إلى سلسلة أعاله الإدارية ما زال شامخا إلى اليوم.

الخاتمة:

لقد تناولنا في هذه الدراسة التنظيمات الإدارية للحجاج بن يوسف الثقفي في العراق، وتوصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

(١) بجشل، تاريخ واسط، ص٣٩.

(٢) ابن الفقيه، البلدان، ص٢٦٤؛ الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٧؛ زيادة، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص١١٧.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٨٤؛ الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٩؛ طه، العراق في عهد الحجاج، ص١٥٦.

(٤) بجشل، تاريخ واسط، ص٣٩؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٢٦٥.

(٥) بجشل، تاريخ واسط، ص٣٩؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٢٦٥؛ زيادة، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص١٢٠.

(٦) الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٥٠.

(٧) بجشل، تاريخ واسط، ص٣٨؛

(٨) معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٩.

١ – كانت أسرة الحجاج ترتبط بالأسرة المروانية روابط قوية مما جعل والد الحجاج وابنه يقفوا إلى جانب الأمويين ضد خصومهم السياسيين منذ عهد يزيد بن معاوية، فقد شاركوا إلى جانبه في عدة معارك.

٢ - لم يأتِ وصول الحجاج إلى دكته الحكم في العراق صدفة، وإما تدرج في المناصب، فضلا عما يمتلكه من كفاءة وحنكة في القيادة، أدى إلى إعجاب الخليفة عبد الملك بن مروان به وتوليه قيادة الجيوش لمحاربة أعدائه.

٣ – كثرة الفتن والاضطرابات في العراق وعدم نجاح الولاة الأمويون في ضبط الأمن والقضاء على الخارجين على السلطة كالخوارج في البصرة.

٤ - عمل الحجاج بكل ما أوتي من قوة وسخر كل جهوده في سبيل تثبيت سلطان الأمويين ولم يترك وسيلة إلا سلكها للوصول إلى الغاية التي كان يهدف إلى تحقيقها.

٥ – سارت الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان بسياسة اللامركزية في الحكم وما يدل على ذلك تمتع الحجاج بن يوسف بصلاحيات تعيين العمال والقضاة على الأقاليم التابعة لولاية العراق وعزلهم ومعاقبة المقصرين منهم.

٦ – كان الحجاج حريصا على تولية ذي الكفاءة والثقة لإشغال المناصب المناطة بهم، وليس على أساس القرابة والعصبية، بل كان يعزل ويحاسب أقرب الناس إليه إذا ما قصر أو أخطأ في عمله.

٧ - كان الحجاج شديد المراقبة لعماله ولا يتسامح مع المقصرين، ويعاقب من تثبت عليه الخيانة أو أخذ الرشوة حتى وإن كان أحد أقربائه.

٨ – قام الحجاج بالعديد من الأعمال الإدارية في العراق من أبرزها تعريب الدواوين، ونقلها من اللغة الفارسية التي كانت تكتب بها إلى اللغة العربية وبذلك جعل كل الدواوين تكتب باللغة العربية حتى سادت في العراق والأقاليم التابعة له.

٩ – اهتم الحجاج بالدواوين في العراق حيث عدل على الدواوين التي كانت موجودة قبل عهدة، كما أنشأ دواوين أخرى للحاجة إليها.

١٠ – أنشأ الحجاج مدينة واسط في منطقة وسط بين البصرة والكوفة والأهواز، لتكون مقرا له وجنده، وبنى فيها قصرا له ومسجد جامع ونظم الإدارة.

١١ – نقل الحجاج مناصب أهل الذمة إلى المسلمين العرب، للحد من نفوذهم.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر:

١-ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم(ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلا تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧.

٢-الازدي، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد(ت:٣٢١هـ/ ٩٣٣م) الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت، ١٩٩١

٣-الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد(ت: ٥٠٢هـ/١١٠٨م) محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الارقم بن ابي الارقم، بيروت، ١٤٢٠هـ

٤-الاصفهاني، ابي فرج علي بن الحسين(ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) الاغاني، تحقيق سمير جابر، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٥هـ،

٥-بجشل، اسلم بن سهل الرزاز الواسطي(ت: ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م) تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦

٦-البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦

٧-فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨

٨-الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤

٩-الجهشياري، ابي عبدالله محمد بن عبدوي(ت:٣٣١هـ/ ٩٤٢م)، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، واخرون، مطبعة مصطفى الباني الحلبي واولاده، القاهرة، ١٩٣٨،

١٠-ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد(ت: ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٩٠٨

١١-الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت(ت: ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.

١٢-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد(٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذمي الشأن الاكبر، تحقيق: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨

١٣-ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤

١٤-ابن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، ط ٢، دار القلم ، دمشق

١٥-الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢

١٦- عيون الاخبار، دار الكتب العلمية، بيروت

١٧-الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد(ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣.

١٨-الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، القاهرة، دار المعارف، بلا. ت.

١٩-ابن عبد ربه، ابو عمر شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد ربه(ت: ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٠-ابن الفقيه، ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحاق الهمداني(ت: ٣٦٥هـ/٩٧٥م) البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب ، بيروت، د. ت

٢١-القلقشندي، احمد بن علي بن احمد(ت:٨٢١هـ / ١٤١٨م) دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٢٢-ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٤٣م) البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركب، دار هجر، ١٩٩٧

٢٣-المبرد، ابو العباس محمد بن يزيد(ت: ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) الكامل في اللغة والادب، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧

٢٤-المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق اسعد داغر، دار الهجر، قم، ١٤٠٩هـ.

٢٥-ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق روحية النحاس ، واخرون، دار الفكر للطباعة والتوزيع، دمشق، ١٩٨٤

٢٦-الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري(ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) الاحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة

٢٧-ابن نباته، جمال الدين(ت: ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، د. م، د. ع.

٢٨-النهرواني، ابو الفرج المعافي بن زكريا بن يحيى الجريري(ت: ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م) الجليس الصالح الكافي والانيس الناصح الشافي، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥

٢٩-النويري، احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم(ت: ٧٣٣هـ/ ١٣١٣م) نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ

٣٠-وكيع، ابو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة (ت: ٣٠٦هـ / ٩١٨م) اخبار القضاة، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٤٧

٣١-اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت،١٩٦٥

ثانيا: المراجع

١-اق بيق، عزة علي، قراءة في سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي(٤٠ – ٩٥هـ)، دار العرب، دمشق، ٢٠١٦

٢-حسن، حسن ابراهيم، حسن، علي ابراهيم، النظم الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت

٣-خماش، نجدة، الادارة في العصر الاموي، دار الفكر، ١٩٨٠

٤-الدوري، عبد العزيز، نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية، مجلة دار الاجتهاد، عدد١، خريف ١٩٨٨.

٥-النظم الاسلامية الخلافة الضرائب الدواوين الوزارة، وزارة المعارف العراقية، ١٩٥٠.

٦-الراوي، ثابت اسماعيل، العراق في العصر الاموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية، مكتبة النهضة، بغداد، د.س

٧-زيادة، محمود، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٥

٨-السامرائي، عبد الجبار محسن، الدولة العربية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان دراسة في اصلاحاتها المالية وتنظيماتها الادارية، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦

٩-طه، عبد الواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٥.

١٠-القرة غولي، وعد سنكاو احمد، سفيان بن الابرد الكلبي (ت ٨٥هـ) ودوره في احداث عصره، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد ١٨، العدد ١، ٢٠٢٣.

١١-هنتس, فالتر, المكاييل والأوزان الإسلامية , ترجمة كامل العسلي, منشورات الجامعة الأردنية, عمان, ١٩٧٠م.

محمود، شيماء عبد الباقي، صناعة السفن الحربية في مدن البحر المتوسط وكيفية تطويرها عند المسلمين خلال القرن الاول الهجري/ السابع الميلادي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد ٧، العدد ٣، سنة ٢٠١٢,

المعاضيدي، عبد القادر، واسط في العصر الاموي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦.